

الأربعون في عظمة رب العالمين

الحديث الأول: عَنْ عَمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَقَلْتُ نَاقَتِي بِالْبَابِ، فَأَتَاهُ نَاسٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ: " أَقْبِلُوا الْبُشْرَى يَا بَنِي تَمِيمٍ ". قَالُوا: قَدْ بَشَّرْتَنَا فَأَعْظِمْنَا مَرَّتَيْنِ. ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ فَقَالَ: " أَقْبِلُوا الْبُشْرَى يَا أَهْلَ الْيَمَنِ، إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ ". قَالُوا : قَدْ قَبِلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالُوا: جِئْنَاكَ نَسْأَلُكَ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ. قَالَ: " كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلِّ شَيْءٍ، وَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ". فَنَادَى مُنَادٌ: ذَهَبَتْ نَافَتُكَ يَا ابْنَ الْحُصَيْنِ. فَأَنْطَلَقْتُ فَإِذَا هِيَ يَقْطَعُ دُونَهَا السَّرَابُ، فَوَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ تَرَكْتُهَا.

الأزل معناه عدم الأولية، فليس الأزل شيئاً محدوداً، اسم الله الآخر يدل أنه هو الغاية التي تصمد إليه المخلوقات بتعبيدها.

قوله ﷺ: "وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلِّ شَيْءٍ، وَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ"، أضيفت الكتابة هنا إلى الله تعالى، ولا يلزم أنه تعالى باشر الكتابة بنفسه، والذكر هو محل الكتابة وهو اللوح المحفوظ، وفي دليل أن خلق العرش سابق على خلق القلم، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧].

الحديث الثاني: "عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ : وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ".

يَتَضَمَّنُ هَذَا الْحَدِيثُ:

أ _ الإيمان بعلم الله تعالى الأزلي للأشياء كلها قبل كونها

ب _ الإيمان بالكتابة: وأن كل شيء كتب في اللوح المحفوظ قبل كونه: قال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ (وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ) [القمر: ٥٢-٥٣]

يسمى اللوح المحفوظ: أم الكتاب، والذكر، والإمام والكتاب المبين.

ليس كل معلوم عند الله تعالى مكتوباً؛ لأنه تعالى جعل القلم يكتب مقادير الخلائق إلى قيام الساعة، وهناك أشياء كثيرة بعد قيام الساعة علمها الله ولكن لم يرد في الكتاب والسنة أنها مكتوبة.

ج _ الإيمان بالإرادة والمشيئة: فنؤمن أن كل ما يجري في هذا بالكون فهو بإرادة الله ومشيئته الدائرة من الحكمة والرحمة.

د _ الإيمان بالإيجاد والخلق: قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢].

الحديث الثالث: عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ، فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ الْآيَةَ: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ} {أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ} {أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيِّطِرُونَ} كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ.

وقد تقرر في العقل مع الشرع: أن الأمر يخلو من أحد الأمور الثلاث:

١_ إما أنهم خلقوا من غير شيء فلا خالقهم لهم، وهذا عين المحال، لأن تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الاسم.

٢_ أو أنهم خالقون لأنفسهم وهذا أيضا محال، فإنه لا يتصور أن يوجدوا أنفسهم، وما لا وجود له كيف يخلق.

٣_ وقوله تعالى: {أَمْ خُلِقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضُ} [الطور: ٣٦]، إن جاز لهم أن يدعوا خلق أنفسهم في تلك الحال، فليدعوا خلق السماوات والأرض، وذلك لا يمكنهم أن يدعوه بوجه من الوجوه فقامت عليهن الحجة.

وهذا من الأدلة التي تسمى السبر والتقسيم: يعني أن نحصر الأشياء الممكنة، ثم نقول أهذا، أم هذا، أم هذا، حتى نصل إلى البرهان.

مثل قوله تعالى: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ} [الطور: ٣٥]، هنا حصر أوصاف المحل قطعي بلا شك، لأنهم إما أن يخلقوا من غير شيء، أم خلقوا أنفسهم، أم يخلقهم خالق غير أنفسهم، ولا رابع البتة، وإبطال القسمين الأولين قطعي لا شك به، فيتعين أن الثالث حق لا شك فيه، فدلالة هذا السبر والتقسيم على عبادة الله وحده لا شريك له قطعية.

الحديث الرابع: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: نُهِينَا أَنْ نَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ شَيْءٍ، فَكَانَ يُعْجِبُنَا أَنْ يَجِيءَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ الْعَاقِلِ، فَيَسْأَلُهُ وَنَحْنُ نَسْمَعُ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، فَقَالَ:

يَا مُحَمَّدُ، أَتَانَا رَسُولُكَ، فَرَعَمَ لَنَا أَنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَكَ، قَالَ: " صَدَقَ "

قَالَ: فَمَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ؟ قَالَ: " اللَّهُ "

قَالَ: فَمَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ؟ قَالَ: " اللَّهُ "

قَالَ: فَمَنْ نَصَبَ هَذِهِ الْجِبَالَ، وَجَعَلَ فِيهَا مَا جَعَلَ؟ قَالَ: " اللَّهُ "

قَالَ: فَبِأَلْذِي خَلَقَ السَّمَاءَ، وَخَلَقَ الْأَرْضَ، وَنَصَبَ هَذِهِ الْجِبَالَ، اللَّهُ أَرْسَلَكَ؟

قَالَ: " نَعَمْ "....، وتماهه:

قَالَ: وَرَعَمَ رَسُولُكَ أَنْ عَلَيْنَا خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِنَا وَلَيْلَتِنَا. قَالَ: " صَدَقَ "

قَالَ: فَبِأَلْذِي أَرْسَلَكَ، اللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: " نَعَمْ ". قَالَ: وَرَعَمَ رَسُولُكَ أَنْ عَلَيْنَا زَكَاةً فِي أَمْوَالِنَا. قَالَ: " صَدَقَ "

قَالَ: فَبِأَلْذِي أَرْسَلَكَ، اللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: " نَعَمْ "

قَالَ: وَرَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا صَوْمَ شَهْرِ رَمَضَانَ فِي سَنَتِنَا. قَالَ: " صَدَقَ " .

قَالَ: فَبِالَّذِي أَرْسَلْتُكَ، اللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا ؟ قَالَ : " نَعَمْ " . قَالَ: وَرَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا حَجَّ الْبَيْتِ مِنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا. قَالَ : " صَدَقَ " .

قَالَ: ثُمَّ وَلَّى. قَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَزِيدُ عَلَيْهِنَّ، وَلَا أَنْقُصُ مِنْهُنَّ.

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " لَنْ صَدَقَ لِيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ " .

هذا الرجل هو ضمام بن ثعلبة رضي الله عنه، وكان معروفًا بحسن المسألة.

وقد نهى الله تعالى عن كثرة سؤال النبي ﷺ عن الأشياء قبل كونها، وعما لا ضرورة إليه، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١]، أما ما يحتاجون إليه فلا مانع منه، وهو من سؤال أهل الذكر، والله تعالى يقول: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

وفي هذا الحديب استدلال بالمخلوقات على الخالق.

الحديث الخامس: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " أَخَذَ اللَّهُ الْمِيثَاقَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ بْنِعَمَّانَ " ، يَعْنِي عَرَفَةَ ، " فَأَخْرَجَ مِنْ صُلْبِهِ كُلَّ ذُرِّيَّةٍ ذَرَأَاهَا، فَفَتَّرَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ كَالذَّرِّ، ثُمَّ كَلَّمَهُمْ قَبْلًا . قَالَ : ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾.

والمواثيق التي أخذها الله تعالى على بني آدم ثلاثة مواثيق:

الأول: الميثاق المذكور في الحديث: وهو الميثاق الذي اخذه الله تعالى على بني آدم، حين أخرجهم من ظهر أبيهم آدم عليه السلام، وأشهدهم على ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ [الأعراف: ١٧٢].

الثاني: ميثاق الفطرة: وهو أن الله تعالى فطرهم على توحيدِهِ ودينه، كما قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ [الروم: ٣٠]، وقال تعالى في الحديث القدسي: " وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمْتُ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا " .

الميثاق الثالث: ما جاءت به الرسل، وأنزلت به الكتب، تجديداً للميثاق الأول، قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥]. وإن كذب بهذا الميثاق، فلم ينفعه إقراره به يوم أخذه الله عليه، حيث قال: ﴿بَلَى﴾، جواباً لقوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾، وقامت عليه الحجة، وغلبت عليه الشقوة، وحق عليه العذاب، ولذلك بطلت حجة المشركين بأخذ هذه المواثيق عليهم.

الحديث السادس: عن أبي هريرة قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ خَلْقًا كَخَلْقِي فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً ".

وفي الحديث: تحدٍ، وتعجيز، وتوبيخ لمن ذهب يخلق كخلق الله وأنى له ذلك؟!.

ومعنى: "فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً" : يعني: نملة صغيرة، فيها روح، تتصرف بنفسها كالذرة التي خلقها الله تعالى.

ومعنى: "أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً" أي: حبة في طعم، تؤكل وتزرع، وتنبت، ويوجد فيها ما يوجد في حبة الحنطة والشعير، وهو أمر تعجيز.

ولذلك من أعظم أمثال القرآن قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣]

الله تعالى قوي عزيز ومن كمال قوته سبحانه أنه:

أن نواصي الخلق بيده: فلا يتحرك متحرك، ولا يسكن ساكن، إلا بإذنه ومشينته تعالى.

أنه يمسك السماوات والأرض أن تزولا: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ خَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر: ٤١].

أنه يبعث الخلق كلهم بصيحة واحدة: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧].

أنه أهلك الجبابرة، والأمم العاتية، بشيء يسير.

الحديث السابع: عن أبي هريرة رضي الله عنه: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ حَتَّى يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيُنْتِهِ ".

وفي رواية: " لَا يَزَالُ النَّاسُ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْعِلْمِ حَتَّى يَقُولُوا: هَذَا اللَّهُ خَلَقَنَا، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهُ ؟ ".

وفي رواية: " إِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْتِي أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ؟ فَيَقُولُ: اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ؟ فَيَقُولُ: اللَّهُ، فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ اللَّهُ؟ فَإِذَا أَحَسَّ أَحَدُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ وَبِرُسُلِهِ ".

يقول الملاحدة: سلمنا أن الله خالق كل شيء، فمن خلق الله؟!.

وهذا سؤال فاسد من أساسه ومغالطة، فالملاحد يسلم أنه خالق، ثم يقول من خلقه، فيجلعه خالقا ومخلوقا في نفس الجملة، ثم لو أننا سلمنا بهذا فيلزم التسلسل وهذا محال عقلا.

ومن تلبيساتهم أيضا: قولهم هل يستطيع الله أن يخلق صخرة لا يستطيع حملها؟.

والجواب: أن هذا السؤال غير صحيح بالأصل، فقدرة الله تعالى لا تتعلق بالمستحيلات العقلية، وهل سيوجد من صفات المخلوقات ما هو أعظم من خالقها، فالقدرة مهما كانت مطلقة فإنها تبقى في دائرة إمكانات الوجود ولا تتعلق بالمستحيلات.

وقد أرشد النبي ﷺ في هذا الحديث لثلاثة أمور:

الإنهاء: فإن الله تعالى جعل للأفكار، والعقول حدا تنتهي إليه، ويستحيل لو حاولت مجاوزته أن تستطيع، لأنه محال.

الاستعانة: فهذا من وسوسته، وإلقائه في القلوب؛ ليشكك الناس في الإيمان بربهم.

الإيمان: أن يدفعه بما يضاده من الإيمان بالله ورسوله، فإن الله ورسوله أخبروا بأن الله تعالى الأول الذي قبله شيء، وأنه تعالى المتفرد بالوحدانية والخلق والإيجاد، فهذا الإيمان الصادق اليقيني، يدفع جميع الشبه، فإن الشكوك لا تعارض اليقين.

فالإنهاء: قطع الشر مباشرة، **والاستعانة:** قطع السبب الداعي إلى الشر، **وبالإيمان:** اللجوء والاعتصام بالاعتقاد الصحيح اليقيني، الذي يدفع كل معارض.

الحديث الثامن: عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، فَقَالَ: " إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ، وَيَرْفَعُهُ، يَرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا أَنْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ ".

وقوله رضي الله عنه: " قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ "، الكلمة في كلام رسول الله ﷺ تعني الجملة التامة، وكذلك في لغة العرب.

وقوله ﷺ: " إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ ".

والقيام: القائم بذاته، لا يحتاج إلى أحد، والقائم على غيره، وهو القائم على كل شيء، وهو مستلزم لجميع الأفعال التي اتصف بها رب العالمين، كالكلام والخلق والرزق والإماتة.

فالحی: من له الحياة الكاملة، المستلزمة لجميع صفات الذات، كالسمع والبصر ونحو ذلك.

والنوم هو راحة من التعب والله تعالى منزّه عن ذلك.

وقوله ﷺ: " يَخْفِضُ الْقِسْطَ، وَيَرْفَعُهُ ".

القسط: هو العدل، أو الميزان، وسمي الميزان قسطاً، لأنه بالميزان يقع العدل.

والمراد بالميزان: هو الشيء الموزون، فאלله تعالى يخفض الميزان، ويرفعه بما يوزن من أرزاق العباد النازلة من عنده، وأعمالهم المرتفعة عليه، فيخفض الميزان تارة بتقدير الرزق، والخذلان بالمعصية، ويرفعه تارة بتوسيع الرزق، والتوفيق للطاعة، قال تعالى: **﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١]**، فمن عمل ما يستحق الرفعة رفعه الله، ومن عمل ما يستحق الخفض خفضه.

وقيل: القسط هو الرزق، لأن الرزق هو قسط كل مخلوق، قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [العنكبوت: ٦٢].

وقيل: القسط هو العدل نفسه، ويراد به الشرائع والأحكام، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥]،

فتارة يرفعه بمعنى: يظهره بوجود الأنبياء وأصحابهم.

وتارة يخفضه: بأن يذهب ويخفيه بذهاب الشرائع.

وهذا المشهد يسميه العلماء: **مشهد القيومية**، الجامع لصفات الأفعال، وهو من أرفع مشاهد العلماء الربانيين، وهو مشهد من مشاهد الربوبية.

وقوله ﷺ: " يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ ".

ومعناه: يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار الذي بعده، ويرفع إليه عمل النهار قبل عمل الليل الذي بعده.

أنواع رفع الأعمال وعرضها على الله تعالى:

الرفع اليومي: في كل يوم مرتين، مرة بالليل ومرة. بالنهار.

العرض الأسبوعي: تعرض كل أسبوع مرتين، الإثنين والخميس، لقوله ﷺ: " تُعْرَضُ أَعْمَالُ النَّاسِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ مَرَّتَيْنِ؛ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ، إِلَّا عَبْدًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحَاءٌ، فَيَقَالُ: أَتْرَكُوا - أَوْ ارْكُوا - هَذَيْنِ حَتَّى يَفِينَا ".

العرض السنوي: فترفع أعمال العام كلها جملة واحدة في شهر شعبان، لقوله ﷺ: " ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ ".

ويستحب للمسلم الازديادة بالطاعات في أوقات الرفع والعرض.

وقوله ﷺ: " حِجَابُهُ النُّورُ "، وفي رواية: " النار "، قال الله تعالى عن نفسه: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥]، والنور من أفعاله؛ فهو ينور السماوات والأرض من فيهن، وهذا الحجاب الذي هو نور هو مخلوق وهو الذي رآه النبي ﷺ، أما نور وجهه وذاته تعالى من أوصافه وهي غير مخلوقة.

ومعنى: " سُبْحَاتُ وَجْهِهِ " : نوره وجلاله وبهائه.

الحديث التاسع: عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا رَوَى عَنْ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، أَنَّهُ قَالَ: " يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا.

يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ.

يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعُمُونِي أَطْعِمَكُمْ.

يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ.

يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ.

يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي.

يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْ سَكَمَ وَجَنَّتُمْ، كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا.

يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْ سَكَمَ وَجَنَّتُمْ، كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا.

يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْ سَكَمَ وَجَنَّتُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَاسْأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ.

يَا عِبَادِي، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أَوْفَيْكُمْ بِهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيُحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ "

قوله تعالى: " يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَمْتُ الظَّلْمَ عَلَى نَفْسِي "

الظلم: وضع الأشياء في غير موضعها. وقد اتفق أهل السماوات والأرض أن الله تعالى عدل لا يظلم، حتى المشركين مقرين بكمال عدله، حتى إنهم يدخلون النار وهم معترفون بعدله، كما قال تعالى: ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١١]، وقال تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَافِرِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٠]، والله تعالى خلق السماوات والأرض بالعدل، والحق، قال تعالى: ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف: ٣].

وفي قوله تعالى: " فَاسْتَطَعُمُونِي أُطْعِمُكُمْ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ.

فيه دليل أن الله تعالى يحب أن يسأله عباده مصالح دينهم، ودنياهم.

وقوله عز وجل: " مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ "، هذا تقريب من الأفهام ومعناه أنه لا ينقص شيء أصلاً، ولو فرضنا أن عصفور شرب من البحر، لا ينقص البحر، لأن البحر ما زالت تمده الأنهار، ويمده بما هو أزيد منه، قال تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦]، وقال رسول الله ﷺ: " يَذُ اللَّهُ مَلَأَى، لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةً "

الحديث العاشر: كَانَ أَبُو صَالِحٍ يَأْمُرُنَا إِذَا أَرَادَ أَحَدُنَا أَنْ يَنَامَ أَنْ يَضْطَجِعَ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ يَقُولُ: " اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ.

اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، أَفْضُ عَنَّا الدِّينَ وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ ". وَكَانَ يَزُوي ذَلِكَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

" فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى "، الفلق هو من الشق، والنباتات إما أشجار أصلها نوى، أو زروع أصلها الحب، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ [الأنعام: ٩٥]، وقوله ﷺ: " وَمُنْزِلَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ "،

إشارة أنه لا يمكن إخراج الأشياء من العدم إلى الوجود، ألا بتعلم وتعبد، ولا يحصل ذلك إلا بكتاب ينزله الله، ورسول يبعثه.

وقوله ﷺ: " **اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ** "، يعني أعنا على أداء حقول الله، وحقوق العباد، وفيه تبري من حول الإنسان وقوته، وقوله ﷺ: " **وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ** "، الاحتياج إلى مخلوق، أو الفقر القلبي.

والغنى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الغنى النفس.

القسم الثاني: الغنى بالله تعالى.

القسم الثالث: الغنى بالمال.

وقد سئل بعد العلماء أيهما أتم الغنى بالله أم الافتقار إلى الله؟

فقال: «الافتقار إلى الله تعالى يوجب الغنى بالله، فإذا صح الافتقار إلى الله تعالى كملت العناية». والدين والفقر كلاهما همان عظيمان يترتب عليهما ارتكاب المعاصي كالسرقة مثلاً.

الحديث الحادي عشر: عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " **يَطْوِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهَا بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الْأَرْضِينَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟** ".

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: " **يَقْبِضُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟** "

قوله ﷺ: " **ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ** "، أنا معرفة والملك معرفة، فإذا كان المبتدأ والخبر كلاهما معرفة فإن ذلك من طرق الحصر.

فإن قيل: أليس الله تعالى هو الملك في الدنيا والآخرة؟

فالجواب: بلى، الله تعالى هو الملك في الدنيا والآخرة، لكن في الآخرة لا ينازعه أحد، تخصيص يوم الدين بالملك، لا ينفيه عما عداه لأن تعالى أخبر أنه هو رب العالمين.

وقوله ﷺ: " **يَقْبِضُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ** "، **القبض:** هو أخذ الشيء باليد وجمعه، **والطي:** هو ملاقة الشيء بعضه على بعض، وجمعه، ولفه، وهذه من صفات الله تعالى الفعلية.

الحديث الثاني عشر: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الْأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إصْبَعٍ، وَالْأَرْضِينَ عَلَى إصْبَعٍ، وَالشَّجَرِ عَلَى إصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالتَّرَى عَلَى إصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلَائِقِ عَلَى إصْبَعٍ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ. فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ؛ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْحَبْرِ، ثُمَّ

قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}.

الحبر: هو العالم وهو من اليهود، ونستفيد من هذا الحديث إثبات النبي ﷺ للصفات دون تحريف أو تعطيل أو تشبيه، وإقراره لذلك، وإثبات الأصابع لله تعالى على الوجه الذي يليق بعظمته، وليس المقصود سهولة التصرف كما يقول أهل التأويل.

الحديث الثالث عشر: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ ، فَإِذَا {فَرَزَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا} لِذِي قَالَ : {الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ}، فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُّ السَّمْعِ وَمُسْتَرِقُّ السَّمْعِ هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ....".

هذا الحديث فيه بيان عظمة الله تعالى، وعظمة كلامه سبحانه، حتى إذا سمع أهل السماوات كلامه، أَرَعَدُوا مِنَ الْهَيْبَةِ، حتى يلحقهم مثل الغشي، والملائكة يسأل بعضهم بعضاً، ماذا قال ربكم؟، فيخبر بذلك حملة للعرش للذين يلونهم، ثم الذين يلونهم للذين تحتهم، حتى ينتهي الخبر إلى السماء الدنيا، كما جاء عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه، أَخْبَرَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْأَنْصَارِ أَنَّهُمْ بَيْنَمَا هُمْ جُلُوسٌ لَيْلَةً مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رُمِيَ بِنَجْمٍ فَاسْتَنَارَ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَاذَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، إِذَا رُمِيَ بِمِثْلِ هَذَا؟ " قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، كُنَّا نَقُولُ وَلَدَ اللَّيْلَةِ رَجُلٌ عَظِيمٌ، وَمَاتَ رَجُلٌ عَظِيمٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " فَإِنَّهَا لَا يَرْمَى بِهَا لِمَوْتٍ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنْ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى اسْمُهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا، سَبَّحَ حَمَلَةُ الْعَرْشِ، ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلُ السَّمَاءِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، حَتَّى يَبْلُغَ السَّبِّحُ أَهْلَ هَذِهِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ قَالَ الَّذِينَ يَلُونَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ لِحَمَلَةِ الْعَرْشِ: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ فَيُخْبِرُونَهُمْ مَاذَا قَالَ، قَالَ: فَيَسْتَخْبِرُ بَعْضُ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ بَعْضًا، حَتَّى يَبْلُغَ الْخَبْرَ هَذِهِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَتَخْطِفُ الْجَنُّ السَّمْعَ، فَيَقْذِفُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ، وَيُرْمُونَ بِهِ، فَمَا جَاءُوا بِهِ عَلَى وَجْهِهِ فَهُوَ حَقٌّ، وَلَكِنَّهُمْ يَقْرَفُونَ فِيهِ وَيَزِيدُونَ "، ومعنى يقرفون: أي يخطونه بالكذب.

وقوله ﷺ: " ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ "، كَأَنَّهُ: صوت القول في وقعه على قلوبهم، والصفوان هو الحجر الأملس الصلب، والسلسلة عليه يكون لها صوت عظيم، وليس المراد تشبيه صوت الله تعالى بهذا، لأن الله تعالى **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ [الشورى: ١١].

والحق في الحديث: صفة لمصدر محذوف عامله، تقديره: قال القول الحق، وجواب الملائكة يحتمل أن علموا ما قال الله تعالى وقالوا أنه حق، ويحتمل أن ذلك لعلمهم أن الله تعالى لا يقول إلا الحق.

الحديث الرابع عشر: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَا : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " الْعِزُّ إِزَارُهُ، وَالْكَِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ. فَمَنْ يَنَازِعْنِي عَذْبَتُهُ ".

وفي رواية: " الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعُظْمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ "

في الحديث: " وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِداءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةٍ عَذْنٍ "، ووصف الله تعالى بأن العز، أو العظمة، إزاره، والكبرياء رداؤه، وهو كسائر صفاته نثبته على ما يليق بعظمته.

ومن أسمائه تعالى: الكبير والمتكبر: **أي:** العظيم ذو الكبرياء، **وقيل:** المتعالي عن صفات الخلق، **وقيل:** المتكبر والمنتزه عن السوء و النقص والعيوب.

والكبرياء أعلى من العظمة، لذلك جعلها بمنزلة الرداء، كما جعل العظمة بمنزلة الإزار.

الحديث الخامس عشر: عن عبيد بن رفاعة الزرقاني، عن أبيه، قال: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أَحَدٍ وَانْكَفَأَ الْمُشْرِكُونَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " اسْتَوُوا حَتَّى أَتِيَّ عَلَى رَبِّي ". فَصَارُوا خَلْفَهُ صُفُوفًا، فَقَالَ: " اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ، اللَّهُمَّ لَا قَابِضَ لِمَا بَسَطْتَ، وَلَا بَاسِطَ لِمَا قَبَضْتَ، وَلَا هَادِيَ لِمَا أَضَلَلْتَ، وَلَا مُضِلَّ لِمَنْ هَدَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا مَانِعَ لِمَا أُعْطِيَْتَ، وَلَا مُقَرَّبَ لِمَا بَاعَدْتَ، وَلَا مُبَاعِدَ لِمَا قَرَّبْتَ، اللَّهُمَّ ابْسُطْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِكَ وَرَحْمَتِكَ وَفَضْلِكَ وَرِزْقِكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ الْمُقِيمَ الَّذِي لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ يَوْمَ الْغَيَْةِ، وَالْأَمْنِ يَوْمَ الْخَوْفِ، اللَّهُمَّ إِنِّي عَائِدُكَ مِنْ شَرِّ مَا أُعْطَيْتَنَا، وَشَرِّ مَا مَنَعْتَ، اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزَيْنَهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكَرِهْ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ، اللَّهُمَّ تَوْفِّقْنَا مُسْلِمِينَ، وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ، وَأَلْحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ غَيْرَ خَزَايَا وَلَا مَفْتُونِينَ، اللَّهُمَّ قَاتِلِ الْكُفْرَةَ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ رَسُولَكَ، وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ، وَاجْعَلْ عَلَيْهِمْ رِجْزَكَ وَعَذَابَكَ، اللَّهُمَّ قَاتِلِ الْكُفْرَةَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ، إِلَهَ الْحَقِّ "

الحديث السادس عشر: عن زيد بن ثابت رضي الله عنه: عن النبي ﷺ: " لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَواتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ عَذْبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَبًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبِكَ، وَلَوْ مَتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَدَخَلْتَ النَّارَ ".

ومن عدله تعالى ما جاء بالحديث: " لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَواتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ عَذْبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ "، ليس لأنه يفعل ذلك بمحض المشيئة المجردة عن السبب، والحكمة، كما يقول الجبرية، بل هو تعالى إذا عذبهم؛ كان تعذيبهم عدلا منه وحكمة. فلو عذبهم تعالى في هذه الحالة لم يكن تعذيبه ظلما لغير استحقاق، فإن حقه تعالى أضعاف ما أتوا من طاعات، وأعمالهم لا توازي شيء من نعمه عليهم، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨].

ويستفاد من قوله ﷺ: " وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبِكَ "، أن الإنسان يقصد بعبادته لله تعالى جلب النفع، ودفع الضر، ولذلك ذم الله تعالى الذين يعبدون ما لا يضر ولا ينفع، قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ [الفرقان: ٥٥].

الحديث السابع عشر: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " يَذُ اللَّهُ مَلَأَى، لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةً، سَحَاءُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ". وَقَالَ: " أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مِنْذُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغْضُ مَا فِي يَدِهِ ". وَقَالَ: " عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَبِيَدِهِ الْآخَرَى الْمِيزَانُ، يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ ".

وفي رواية لهما: " يَمِينُ اللَّهِ مَلَأَى، لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةً، سَحَاءُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مَا فِي يَمِينِهِ، وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَبِيَدِهِ الْآخَرَى الْفَيْضُ - أَوْ الْقَبْضُ - يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ "

وقوله ﷺ: " يَدُ اللَّهِ مَلَأَى، لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةً، سَحَاءُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ".

ملأى: أي شديدة الامتلاء بالخير الكثير، وما لا نهاية له من الأزاق والعطايا.

لا يغيضها: أي: لا بتقصها

سحَاء الليل والنهار: أي: دائمة العطاء في الليل والنهار.

وقوله ﷺ: " وَبِيَدِهِ الْآخَرَى الْفَيْضُ - أَوْ الْقَبْضُ - يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ "

الفيض: هو فيض الإحسان بالعطاء، والرزق الواسع.

القبض: قبض الأرواح بالموت.

وقيل: القبض هو المنع، فيكون المعنى بيد الله الإعطاء والمنع، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

الحديث الثامن عشر: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " قَالَ اللَّهُ : كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ؛ فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي. وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ : اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا. وَأَنَا الْأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفْنًا أَحَدٌ ".

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " قَالَ اللَّهُ : كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ؛ فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَرَعَمَ أَنِّي لَا أَقْدِرُ أَنْ أُعِيدَهُ كَمَا كَانَ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لِي وَلَدٌ. فَسُبْحَانِي أَنْ اتَّخَذَ صَاحِبَةً، أَوْ وَلَدًا ".

احتوى هذا الحديث على أصليين من أصول التوحيد:

الأول: إثبات البعد الموت.

الثاني: أن الله تعالى واحد، منزه عن الصاحبة والولد.

الحديث التاسع عشر: عن عائشة رضي الله عنها، عن رسول الله ﷺ: " لقد نزلت عليَّ اللَّيْلَةُ آيَةً، وَبِلَّ لَمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ} الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ } [آل عمران: ١٩٠ - ١٩١].

قال العلماء: يستحب للمستيقظ من نومه أن يتلو الآيات العشر من أواخر سورة آل عمران.

ومن اللطائف: أن الله تعالى لما ذكر الدلائل الإلهية، والقدرة، والحكمة، وهو ما يتصل بتقرير الربوبية، ذكر بعدها ما يتصل بالعبودية.

وأصناف العبودية ثلاثة أقسام:

التصديق بالقلب، الإقرار باللسان، والعمل بالجوارح.

فقوله تعالى: {يَذْكُرُونَ اللَّهَ}، إشارة إلى عبودية اللسان.

وقوله تعالى: {قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ}، إشارة إلى عبودية الأعضاء.

وقوله تعالى: {وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}، إشارة إلى عبودية القلب، والفكر، الروح.

الحديث العشرون: عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ أَنَّهُ قَالَ : صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَّةِ عَلَىٰ اثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: " هَلْ تَذَرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ " قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: " أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ؛ فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطَرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ : بِنُوءٍ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ "

التنجيم هو: الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية التي لم تقع، ولا علاقة للأحوال الفلكية، بالحوادث الأرضية، وهو محرم.

فالمقصود من الحديث: أنه لا يتم توحيد العبد ولا إيمانه حتى يتعرف بتفرد الله تعالى بالنعمة الظاهرة والباطنة عليه، ويضيفها إلى الله تعالى قولاً واعتراضاً.

الحديث الواحد والعشرون: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ؛ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الْأَمْرُ، أَقْلِبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ".

وفي رواية: " لَا تَقُولُوا خَيِّبَةَ الدَّهْرِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ ".

وفي لفظ لمسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ؛ يَقُولُ: يَا خَيِّبَةَ الدَّهْرِ. فَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: يَا خَيِّبَةَ الدَّهْرِ؛ فَإِنِّي أَنَا الدَّهْرُ، أَقْلِبُ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ، فَإِذَا شِئْتُ قَبَضْتُهُمَا ".

يقول ابن القيم رحمه الله: في هذا ثلاث مفاسد عظيمة:

إحداهما: سب من ليس بأهل أن يسب، فإن الدهر خلق مسخر من خلق الله.

الثانية: أن سبه متضمن للشرك، فإنه سبه لظنه أنه يضر وينفع.

الثالثة: أن السب منهم إنما يقع على من فعل هذه الأفعال، وهو الله سبحانه وتعالى.

وقوله تعالى: "يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ"، فالأذية لله تعالى ثابتة، وكيفتها لا نعلمها، فالله تعالى يتأذى من فعل بني آدم لكنه لا يضره شيء سبحانه، ويجب علينا إثباتها لأن الله تعالى أثبتها لنفسه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [الأحراب: ٥٧]، ولكنها ليست كأذية المخلوق ولا يستلزم منها ضرر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ١٧٦].

وقوله تعالى: "وَأَنَا الدَّهْرُ"، أي: مدبر الدهر ومصرفه كما قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، ففي الكلام حذف تقديره: "وأنا مقلب الدهر" كما يدل على السياق والقرنية، ولذلك فسر به بعده.

الحديث الثاني والعشرون: عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي ذَرٍّ حِينَ غَرَبَتِ الشَّمْسُ: "تَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ؟" قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: "فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ الْعَرْشِ فَتَسْتَأْذِنَ فَيُؤْذَنُ لَهَا، وَيُوشِكُ أَنْ تَسْجُدَ فَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا، وَتَسْتَأْذِنَ فَلَا يُؤْذَنُ لَهَا، يُقَالُ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾".

وفي رواية لمسلم: "إِنَّ هَذِهِ تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَخْرُ سَاجِدَةً، فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي، ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَخْرُ سَاجِدَةً، وَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي لَا يَسْتَكْرِ النَّاسُ مِنْهَا شَيْئًا حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا ذَاكَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَيُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي، أَصْبِحِي طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِكَ، فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِهَا". فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَتَدْرُونَ مَتَى ذَاكُمْ؟ ذَاكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا".

الشمس إذا كانت في قبة الفلك، تكون أقرب ما تكون من العرش، ومستقر الشمس المكاني هو: **تحت العرش**، وقيل معنى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ [يس: ٣٨]، أي: إلى انتهاء أو منتهى سيرها عند انقضاء الدنيا، وقيام الساعة، وهو كذلك المستقر الزماني، وقيل في المستقر الزماني: هو نهاية ارتفاعها في السماء إلى فصل الصيف، نهاية هبوطها في الشتاء، والمؤمن الذي كان لم يكسب حسنات ولكن عند رؤية طلوع الشمس من مغربها أراد أن يعمل لن ينفعه عمله، ولكن إذا كان يعمل من قبل فسينفعه.

الحديث الثالث والعشرون: "ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة".

العرش في اللغة: هو سرير الملك.

وعرش الرحمن عرش عظيم، وهو سقف المخلوقات كلها، وهو مقبب: يعني كالقبة على العالم، وما تحته بالنسبة إليه كحلقة في فلاة.

والعرش هو أثقل المخلوقات وزنا: كما قال النبي ﷺ لزوجته جويرية: " لَقَدْ قُلْتُ بِعْدَكَ أَرْبَعُ كَلِمَاتٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وَزَنْتُ بِمَا قُلْتُ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنْتُهُنَّ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ "

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: المقصود من الحديث نهاية ما يمكن من الوزن، وغاية ما يمكن من المعدود، وغاية ما يمكن القول، والمحسوب.

والعرش والكرسي حقيقتان، وتفسيره بالملك، أو السلطان تحريف وتعطيل.

الحديث الرابع والعشرون: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي "

وفي رواية: " إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي. فَهُوَ مَكْتُوبٌ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ "

المراد ب غلبت، وسبقت: كثرة الرحمة وشمولها.

ورحمة الله تعالى لعبادة نوعان:

الأولى: رحمة خاصة: وهي لجميع الخلائق، بإيجادهم وتربيتهم، ورزقهم وإمدادهم بالنعيم، والعطايا، وتسخير الحيوانات والنباتات لهم، كما في قول الملائكة لله تعالى: **﴿آمِنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧]**.

الثانية: رحمة خاصة: وهذه الرحمة لا تكون إلا للمؤمنين، فيرحمهم الله تعالى في الدنيا، بتوفيقهم إلى الهداية، والدفاع عنهم، ونصرهم، وفي الآخرة يرحمهم بالرضى عنهم والعفو عن سيئاتهم وإدخالهم الجنة، قال تعالى: **﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]**.

الحديث الخامس والعشرون: ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ قَالَ: " اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ لَكَ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أُنِيتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاعْفُ رَحْمَةً لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ "

وفي رواية: " اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ الْحَقُّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أُنِيتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ ، فَاعْفُ رَحْمَةً لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ إِلَهِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ "

هذا الذكر والدعاء العظيم، من أدعية الاستفتاح التي كان يستفتح بها النبي ﷺ صلاة الليل إذا تهجد.

وقوله ﷺ: " اللهم لك الحمد "

لك الحمد: أصل العبارة الحمد لك وتقديم الخبر يدل على التخصيص.

و" ال " في " الحمد " تفيد الاستغراق والاستقصاء، أي: استغراء جميع المحامد لله تعالى، أي: جميع الحمد واجب ومستحق لله تعالى، وفيه إثبات كل المحامد لله تعالى.

أنواع الاستفتاح في الصلاة ثلاثة:

أعلاها: ما كان ثناء على الله.

ويليه: ما كان خبراً من العبد عن عبادة الله.

والثالث: ما كان دعاء للعبد.

والفاتحة تجمع هذه الأنواع كلها.

الحديث السادس والعشرون: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " قَالَ رَجُلٌ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ: فَإِذَا مَاتَ فَحَرَّفُوهُ، وَادَّرُوا نِصْفَهُ فِي الْبَرِّ، وَنِصْفَهُ فِي الْبَحْرِ، فَوَاللَّهِ لَنُؤَدِّيَنَّ قَدْرَ اللَّهِ عَلَيْهِ لِيُعَذِّبَهُ عَذَابًا لَا يُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ. فَأَمَرَ اللَّهُ الْبَحْرَ، فَجَمَعَ مَا فِيهِ، وَأَمَرَ الْبَرَّ فَجَمَعَ مَا فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: لِمَ فَعَلْتَ ؟ قَالَ: مِنْ خَشْيَتِكَ، وَأَنْتَ أَعْلَمُ. فَغَفَرَ لَهُ "

وفي رواية: " كَانَ رَجُلٌ يُسْرِفُ عَلَى نَفْسِهِ، فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ قَالَ لِبَنِيهِ: إِذَا أَنَا مِتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اطْحَنُونِي، ثُمَّ ذَرُونِي فِي الرِّيحِ، فَوَاللَّهِ لَنُؤَدِّيَنَّ قَدْرَ عَلَيَّ رَبِّي لِيُعَذِّبَنِي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا. فَلَمَّا مَاتَ فُعِلَ بِهِ ذَلِكَ، فَأَمَرَ اللَّهُ الْأَرْضَ فَقَالَ: اجْمَعِي مَا فِيكَ مِنْهُ. فَفَعَلَتْ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ ؟ قَالَ : يَا رَبِّ، خَشْيَتُكَ. فَغَفَرَ لَهُ " . وَقَالَ غَيْرُهُ: " مَخَافَتُكَ يَا رَبِّ "

وفي رواية: أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلًا فِيمَنْ سَلَفَ أَوْ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ - قَالَ كَلِمَةً يَغْنِي - أَعْطَاهُ اللَّهُ مَالًا وَوَلَدًا، فَلَمَّا حَضَرَتْ الْوَفَاةَ قَالَ لِبَنِيهِ: أَيُّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ ؟ قَالُوا: خَيْرَ أَبٍ. قَالَ: فَإِنَّهُ لَمْ يَبْتَر - أَوْ لَمْ يَبْتَرِ - عِنْدَ اللَّهِ خَيْرًا، وَإِنْ يَقْدِرِ اللَّهُ عَلَيْهِ يُعَذِّبُهُ، فَانْظُرُوا إِذَا مِتُّ فَأَحْرِقُونِي، حَتَّى إِذَا صِرْتُ فَحْمًا فَاسْحَقُونِي - أَوْ قَالَ: فَاسْحَكُونِي - فَإِذَا كَانَ يَوْمُ رِيحٍ عَاصِفٍ فَأَذْرُونِي فِيهَا. فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " فَأَخَذَ مَوَاشِقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ، وَرَبِّي فَفَعَلُوا، ثُمَّ أَذْرُوهُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: كُنْ. فَإِذَا هُوَ رَجُلٌ قَائِمٌ، قَالَ اللَّهُ: أَيُّ عَبْدِي، مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ فَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ؟ قَالَ: مَخَافَتُكَ أَوْ فَرَقٌ مِنْكَ " . قَالَ: " فَمَا تَلَفَاهُ أَنْ رَحِمَهُ عِنْدَهَا " . وَقَالَ مَرَّةً أُخْرَى: " فَمَا تَلَفَاهُ غَيْرُهَا "

الرجل في الحديث جمع بين الإيمان بالله، والخوف منه، ووقع فيما وقع فيه من الشك في قدرة الله تعالى بجهله، فقبل الله تعالى منه إيمانه وخوفه، وغفر له جهله.

الخوف من أهم أسباب مغفرة الذنوب، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾

[المعارج: ٢٧]

الحديث السابع والعشرون: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: اجْتَمَعَ عِنْدَ الْبَيْتِ ثَقَفِيَّانِ وَفَرَشِيَّ - أَوْ فَرَشِيَّانِ وَثَقَفِيَّ - كَثِيرَةٌ شَحْمٌ بَطُونُهُمْ، قَلِيلَةٌ فَقَهُ قُلُوبُهُمْ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: أَتَرُونَ أَنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ مَا نَقُولُ؟ قَالَ الْآخَرُ: يَسْمَعُ إِنْ جَهَرْنَا، وَلَا يَسْمَعُ إِنْ أَخْفَيْنَا. وَقَالَ الْآخَرُ: إِنْ كَانَ يَسْمَعُ إِذَا جَهَرْنَا فَإِنَّهُ يَسْمَعُ إِذَا أَخْفَيْنَا؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾.

وفي رواية: فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَتَرُونَ أَنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ حَدِيثَنَا؟ قَالَ بَعْضُهُمْ: يَسْمَعُ بَعْضَهُ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَنْ كَانَ يَسْمَعُ بَعْضَهُ لَقَدْ يَسْمَعُ كُلَّهُ.

الحديث الثامن والعشرون: عَنْ ابْنِ عَمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مِفْتَاحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ، لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا يَكُونُ فِي غَدٍ، وَلَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا يَكُونُ فِي الْأَرْحَامِ، وَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ، وَمَا يَدْرِي أَحَدٌ مَتَى يَجِيءُ الْمَطَرُ".

وفي رواية: مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ؛ لَا يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَا نَعِيشُ الْأَرْحَامَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي الْمَطَرُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ، وَلَا يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا اللَّهُ".

وفي رواية: مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ؛ إِنْ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنْزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ.

العراف: هو الذي يستدل بمعرفة بمقدمات يستدل بها على المسروق، ومكان الضالة، فهو أعم من الكاهن.

وقيل: العراف الذي يخبر بما في الضمير، والكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل. شبه الله تعالى الأمور الغيبية عن الناس بالمتاع الثمين، الدس يدخر بالخزائن المستوثق أبقالها، بحيث لا يعلم مافيه إلا من معه مفاتيحها وهو الله تعالى.

ويقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في بيان كون هذه المفاتيح خمس:

الساعة: مفتاح الحياة الآخرة.

نزول الغيث: مفتاح حياة الأرض بالنبات.

ما في الأرحام: مفتاح الوجود في الحياة.

عمل الغد: مفتاح عمل المستقبل.

علم مكان الموت: مفتاح الانتقال من الدنيا إلى الآخرة.

والغيب نوعان:

نسبي: يكون لشخص معلوما ولآخر مجهولا.

غيب المستقبل الحقيقي: لا يكون علمه إلا لله، ومن ادعى علمه فهو كافر.

الحديث التاسع والعشرون: " أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَنْطَ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعِ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ ".

قوله ﷺ: " أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَنْطَ ".

أي: صاحبت وصوتت من ثقل ما عليها من الملائكة، وحقيق لها وينبغي بها أن تفعل.

فالسماء مسكن الملائكة الذين لا يصعون الله تعالى طرفة عين: **﴿لَا يَعصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]**.

وللملائكة منازل عند الله تعالى، كما قالت الملائكة: **﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾** وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ **﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ [الصافات: ١٦٤-١٦٦]**.

ومعنى قولهم: **﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾**، أي: ما منا ملك إلا له موضع مخصوص قي السماوات، ومقامات العبادة، لا يتجاوزها، ولا يتعداه.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾، أي: نقف صفوفًا في الطاعات، فصوف الملائكة كصفوف الناس في الأرض، وفي الحديث: " أَلَا تَصْفُونَ كَمَا تَصِفُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ " فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ تَصِفُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ قَالَ: " يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الْأُولَى، وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ ".

الحديث الثلاثون: عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ قَالَ: قُمْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً، فَقَامَ فَقَرَأَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ، لَا يَمُرُّ بِآيَةٍ رَحْمَةٍ إِلَّا وَقَفَ فَسَأَلَ، وَلَا يَمُرُّ بِآيَةٍ عَذَابٍ إِلَّا وَقَفَ فَنَعَوَّذَ. قَالَ: ثُمَّ رَكَعَ بِقَدْرِ قِيَامِهِ، يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ: " سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعُظَمَةِ " . ثُمَّ سَجَدَ بِقَدْرِ قِيَامِهِ، ثُمَّ قَالَ فِي سُجُودِهِ مِثْلَ ذَلِكَ.

الغالب في الركوع هو تعظيم الله عز وجل، والغالب في السجود هو الاجتهاد في الدعاء، لقوله ﷺ: " فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعِظْمُوا فِيهِ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ ".

اسم الله تعالى الجبار، له ثلاث معانٍ كلها داخلة فيه وهي: الرؤوف، القهار، العلي:

- ١ _ **بمعنى الرؤوف:** فهو يجبر الضعيف، والكسير، والمصاب.
- ٢ _ **بمعنى القهار:** لكل شيء، الذي دان له كل شيء، وخضع له كل شيء.
- ٣ _ **بمعنى العلي الأعلى:** فهو الأعلى على كل شيء.
- ٤ _ **بمعنى المتكبر:** عن كل سوء ونقص، وعن مماثلة أحد، وعن أن يكون له شريك.

الحديث الثلاثون: عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ، لَقَدْ جَاءَتْ حَوْلَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَشْكُو زَوْجَهَا، فَكَانَ يَخْفَى عَلَيْهَا كَلَامُهَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا} الْآيَةَ.

سمع الله تعالى نوحان:

سمع إدراك: سمعه لجميع الأصوات، الظاهرة والباطنة والخفية، والجلية، وإحاطته التامة بها.

سمع إجابة: للسائلين، والداعين، فيجيبهم، ويثيبهم، ومنه قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩]، أي مجيبه.

الحديث الواحد والثلاثون: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنُ الْعَاصِ يَقُولُ: إِنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ". ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ، صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ".

عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: "يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ". فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ، فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: "نَعَمْ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أَصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ، يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ".

نو من بأن القلوب كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن جل وعلا، على وجه الحقيقة ولا نقول كما يقول من تأول الحديث كناية عن الملك والسلطان، وتصرفه في القلوب، ولا يلزم من إثبات الصفة أن تكون الأصابع في قلوبنا.

قال تعالى: ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤]، **ونحن قول:** ستر المصلي بين يديه، وليست هي مباشرة له ولا مماسة **ونقول:** بدر بين مكة والمدينة.

الحديث الثالث والثلاثون: عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ قَالَ: "مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَغْفِرَ ذَنْبًا، وَيَفْرِجَ كَرْبًا، وَيَرْفَعَ قَوْمًا، وَيَخْفِضَ آخَرِينَ".

تصرفه تعالى في مملكته دائر بين: العدل، والإحسان، الحكمة، والمصلحة، الرحمة.

الحديث الرابع والعشرون: عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وَثَابِتٌ عَلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، فَقَالَ ثَابِتٌ: يَا أَبَا حَمْزَةَ، اسْتَكَيْتُ. فَقَالَ أَنَسٌ: أَلَا أُرْقِيكَ بِرُفْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ: اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، مُذْهِبَ الْبَاسِ، اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شَافِيَ إِلَّا أَنْتَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَوِّذُ بَعْضَهُمْ، يَمْسَحُهُ بِيَمِينِهِ: "أَذْهَبِ الْبَاسَ، رَبَّ النَّاسِ، وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا".

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَوِّذُ بَعْضَهُمْ، يَمْسَحُهُ بِيَمِينِهِ : " أَذْهَبِ الْبَاسَ، رَبَّ النَّاسِ، وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءٌ لَا يُعَادِرُ سَقَمًا " .

ورقاه جبريل عليه السلام فقال: يَا مُحَمَّدُ، اسْتَكَيْتَ؟ فَقَالَ: " نَعَمْ " . قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ، أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ اللَّهُ يَشْفِيكَ، بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ " .

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَوِّذُ الْحَسَنَ، وَالْحُسَيْنَ، يَقُولُ: " أُعِيدُكُمْ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ " . وَيَقُولُ: " هَكَذَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يُعَوِّذُ إِسْحَاقَ، وَإِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ " .

وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيِّ، أَنَّهُ شَكَاَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعًا يَجِدُهُ فِي جَسَدِهِ مُنْذُ أَسْلَمَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ، وَقُلْ : بِاسْمِ اللَّهِ . ثَلَاثًا، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ : أَعُوذُ بِاللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ " .

في هذا الحديث توسل الله تعالى بروبيته لحصول الشفاء، لقوله ﷺ: " رب الناس " .

يقول الإمام ابن القيم: فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية، والبدنية، وأدواء الدنيا والآخرة، ولا كل أحد يؤهل ولا يوفق للاستشفاء به، وإذا أحسن العليل التدوي به، باعتقاد جازم واستفياء شروطه لم يقاومه الداء أبداً.

ولا تتعارض الرقى الشرعية مع العلاج الطبي؛ بل يتكاملان فيما بينهما.

الحديث الخامس والثلاثون: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: أَنَا سَيِّدُ الْقَوْمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، هَلْ تَدْرُونَ بِمَنْ يَجْمَعُ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُبْصِرُهُمُ النَّاطِرُ، وَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَتَدْنُو مِنْهُمْ الشَّمْسُ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ: أَلَا تَرَوْنَ إِلَى مَا أَنْتُمْ فِيهِ، إِلَى مَا بَلَّغَكُمْ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ: أَبُوكُمْ آدَمُ. فَيَأْتُونَهُ...)) إِلَى أَنْ قَالَ: فَيَأْتُونِي، فَاسْجُدْ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَيَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَاشْفَعْ تَشْفَعْ، وَاسْأَلْ تُعْطَهُ.

الحديث السادس والثلاثون: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ نَاسًا فِي زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " نَعَمْ " ، وساق الحديث، وفيه: ((... فيقول الله عز وجل: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ. فَيَقْبُضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهْرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ، يُقَالُ لَهُ: نَهْرُ الْحَيَاةِ.

الشفاعة عند الله: سؤال الله التجاوز عن الذنوب والآثام للغير.

وحقيقتها: أن الله تعالى بلطفه، وكرمه، يأذن يوم القيامة لبعض الصالحين من خلقه، من الملائكة، والمرسلين، والمؤمنين، أن يشفعوا عنده في بعض أصحاب الذنوب، من أهل التوحيد، إظهارا لكرامة الشافعين عنده، بالمشفوع فيهم.

وتنقسم الشفاعة من حيث القبول والرد إلى قسمين:

مردودة: وهي ما فقدت أحد شرطي الشفاعة.

ومقبولة: هي ما تحقق فيها شرط الشفاعة.

الحديث السابع والثلاثون: يُوضَع الميزانُ يوم القيامة، فلو وُزِنَ فيه السماواتُ والأرضُ لوسعتُ، فتقولُ الملائكةُ: يا رَبِّ لِمَنْ يَزَنُ هذا؟ فيقولُ الله تعالى: لِمَنْ شِئْتُ مِنْ خَلْقِي، فتقولُ الملائكةُ: سُبْحَانَكَ مَا عَبْدُكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ.

وَيُوضَع الصِّرَاطُ مِثْلَ حَدِّ الْمُوسَى، فتقولُ الملائكةُ: مَنْ تُجِيزُ عَلَى هَذَا؟ فيقولُ: مَنْ شِئْتُ مِنْ خَلْقِي، فيقولُ: سُبْحَانَكَ مَا عَبْدُكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ.

الميزان: ميزان حقيقي محسوس له لسان، وكفتان، توزن فيه أعمال العباد، ويكون بعد انقضاء الحساب يوم القيامة.

وقد دلت النصوص الشرعية أنه يوزن في الميزان يوم القيامة ثلاث أشياء:

فتارة توزن الأعمال، وتارة توزن صحائف الأعمال، وتارة يوزن العامل نفسه، وقد يوزن كل ذلك.

أما وزن العمل: فيؤتي بالأعمال يوم القيامة، وتوزن في الميزان بعد أن يقبلها الله تعالى بقدرته أجساماً.

أما وزن الصحائف: فقد دل عليه حديث البطاقة المشهور، " فَتُوضَع السِّجَلَاتُ فِي كِفَّةٍ، وَالبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجَلَاتُ، وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلَا يَنْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ "

أما وزن الأعمال: فقد دل عليه حديث: " إنه ليأتي الرجل السمين....".

الصراط ينصب في ظلمة، فيعطى الناس نورا على إيمانهم، ويمرون فوقه على قدر أعمالهم.

الحديث الثامن والثلاثون: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ، قَالَ: " رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمِثْلُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، أَهْلَ النَّعَاءِ وَالْمَجْدِ. أَحَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ - وَكُنَّا لَكَ عَبْدٌ - اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أُعْطِيَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ ".

وقوله ﷺ: " وَكُنَّا لَكَ عَبْدٌ "، جملة اعتراضية والتقدير: فينبغي لنا أن نقول هذا لأننا كلنا عبيد لك.

وقيل: قوله ﷺ: " أَحَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ "، فيعود على: " رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمِثْلُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، أَهْلَ النَّعَاءِ وَالْمَجْدِ "، أن هذا أحق ما قاله العبد.

وقوله ﷺ في التحميد: " وَمِثْلُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ "، إشارة إلى العجز عن أداء حق الحمد، فهو أعز أن يحسب.

الحديث التاسع والثلاثون: عَنْ جَابِرٍ قَالَ: لَمَّا رَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُهَاجِرَةَ الْبَحْرِ قَالَ: " أَلَا تُحَدِّثُونِي بِأَعَاجِيبِ مَا رَأَيْتُمْ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ؟ ". قَالَ فَثِيَّةٌ مِنْهُمْ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَرَّتْ بِنَا عَجُوزٌ مِنْ عَجَائِزِ رَهَابِينِهِمْ، تَحْمِلُ عَلَى رَأْسِهَا قُلَّةً مِنْ مَاءٍ، فَمَرَّتْ بِقَتْنِي مِنْهُمْ، فَجَعَلَ إِحْدَى يَدَيْهِ بَيْنَ كَتِفَيْهَا، ثُمَّ دَفَعَهَا فَخَرَّتْ عَلَى رُكْبَتَيْهَا، فَأَنْكَسَرَتْ قُلَّتُهَا، فَلَمَّا ارْتَفَعَتِ انْتَفَتَتْ إِلَيْهِ، فَقَالَتْ: سَوْفَ تَعْلَمُ يَا غَدُرُ، إِذَا وَضَعَ اللَّهُ الْكُرْسِيَّ، وَجَمَعَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَتَكَلَّمَتِ الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ، فَسَوْفَ تَعْلَمُ كَيْفَ أَمْرِي وَأَمْرُكَ عِنْدَهُ غَدًا. قَالَ: يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " صَدَقْتُ صَدَقْتُ، كَيْفَ يُقَدِّسُ اللَّهُ أُمَّةً لَا يُوَخِّدُ لِضَعِيفِهِمْ مِنْ شَدِيدِهِمْ ".

الحديث الأربعون: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُتَيْسٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - أَوْ قَالَ: الْعِبَادُ - عُرَاةً غُرْلًا بَعْهَمَا " . قَالَ: قُلْنَا: وَمَا بِهِمَا؟ قَالَ: " لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعْدَ، كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرَبَ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدِّيَانُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَقٌّ، حَتَّى أَقْصَهُ مِنْهُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، وَلَا أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ حَقٌّ، حَتَّى أَقْصَهُ مِنْهُ، حَتَّى اللَّطْمَةِ " . قَالَ: قُلْنَا: كَيْفَ، وَإِنَّا إِنَّمَا نَأْتِي اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عُرَاةً غُرْلًا بَعْهَمَا؟ قَالَ: " بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ " .

قال تعالى: " أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدِّيَانُ "، فهو الملك الذي بيده ملك السماوات والأرض ومن فيهن، وهو الديان الحكم الذي يجازي عباده بأعمالهم.

والحديث فيه دليل على أن بعض أهل الموقف أقرب إلى الله تعالى من بعض.